ملاحظات منهجيّة خطيرة

على كتب الدُّكتور فركوس

-الحلقة الأولى-

تساهل الدُّكتور في ترجمته لبعض رؤوس أهل البدع وإشادته وثناؤه المفرط في مواضع دون تنبيه على ضلالهم

كتبه:

عبد الله بن صالح المكي



المقدّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسوله الأمين وعلىٰ أصحابه أجمعين أمَّا بعد:

فهذه بعض الملاحظات المنهجيَّة الخطيرة وقعت للدُّكتور محمَّد علي فركوس سجَّلتها أثناء قراءتي لبعض كتبه، فأحببت أن أبيِّن ما فيها من زلل وخطل معزِّزًا ذلك بالنَّقل عن أئمَّة الإسلام وأئمَّة الجرح والتَّعديل بحقّ نصيحة له أوَّلًا ثمَّ للمسلمين عامَّة.

الملاحظة الأولىٰ

إشادة الدُّكتور فركوس بجهود دولة الموحِّدين الأشعريَّة المعتزليَّة الخارجيَّة والزَّوايا والرباطات الصُّوفيَّة في تمهيد الحركة الفكريَّة في المجتمع وازدهاره ونضجه، وأنَّ ذلك كان له أثر طيِّب وبارز في دفع الحركة الفكريَّة في عهد الدَّولة الزِّيانيَّة

قال في تحقيق كتابه «مفتاح الوصول» ـ الطَّبعة الثَّالثة (1434هـ) (ص:31 ـ32): «**ثانيًا: الحركة الفكريَّة: يرجع الفضل في تمهيد الحركة الفكريَّة ـ بعد الله عزَّ وجلَّ ـ إلىٰ جهود المرابطين والموحِّدين في مجالات الثَّقافة والعلم والأدب، الَّذين فتحوا آفاقًا فكريَّة واسعةً أتاحت للحياة الثَّقافيَّة في عهد بني عبد الواد الزِّيانيِّين وأثناء السِّيادة المرينية ونفوذِها مزيدًا من الازدهار والنُّضج، فقد أولىٰ أمراء وسلاطين هذا العصر اهتمامًا كبيرًا وعنايةً فائقةً بالجانب الثَّقافي والعلمي بتشجيع العلم والنُّهوض به، واحتلَّت العلوم الدِّينيَّة محلَّ الصَّدارة، ودعَّم ذلك إحداثُ الوسائل المعزَّزة للجانب الفكري والثَّقافي المتمثِّلة في: إنشاء**

المؤسَّسات الفكريَّة من مدارسَ ومعاهدَ، وإسناد التَّدريس لأشهر رجال العلم، وتعمير المكتبات والسُّلوك في تطبيق المناهج التَّعليميَّة في الموادِّ المدرَّسة وفق غاياتٍ محدَّدة، وتكريس المجالس العلميَّة، وعقد النَّدوات والمناظرات فيها، وتدعيم الرَّحلات العلميَّة، فضلًا عن الوظيفة الَّتي قامت بها المساجد في أداء رسالتها وكذا الزَّوايات والرباطات، الأمر الَّذي كان له الأثر الطيِّب والبارز في دفع الحركة الفكريَّة في المجتمع».

التَّعليق: والآن ـ أخي القارئ المنصف ـ أدعوك وأدعك لتقارن بين حكم أئمَّة الإسلام وأئمَّة الجرح والتَّعديل بحقّ علىٰ المهدي ابن تومرت ودولته (الموحِّدين) وبين كلام الدُّكتور لتدرك الفرق الهائل بين الكلامين والحكمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أقبح من غلوّ هؤلاء [الصُّوفيَّة]: ما كان عليه المتسمُّون بالموحِّدين في متبوعهم الملقَّب بالمهدي محمَّد بن تومرت الَّذي أقام دولتهم بما أقامها به من الكذب والمحال، وقتل المسلمين، واستحلال الدِّماء والأموال؛ فعل الخوارج المارقين، ومن الابتداع في الدِّين، مع ما كان عليه من الزُّهد والفضيلة المتوسّطة، ومع ما ألزمهم به من الشَّرائع الإسلاميَّة، والسُّنن النَّبويَّة؛ فجمع بين خير وشرّ. لكن من أقبح ما انتحلوه فيه: خطبتهم له علىٰ المنابر، بقولهم: الإمام المعصوم، والمهدي المعلوم».
[«بغية المرتاد» (ص: ٤٩٤)]

وقال شيخ الإسلام الثَّاني العالم الربَّاني ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله: «أمَّا مهديُّ المغاربةِ محمَّد بن تومرت فإنَّه رجلٌ كذَّابٌ ظالمٌ مُتغلِّب بالباطل مُلِّك بالظُّلم والتَّغلُّب والتحيل فقتل النُّفوس وأباح حريم المسلمين وسبَىٰ ذراريهم وأخذ أموالهم وكان شرًّا علىٰ الملَّة من الحجَّاج بن يوسف بكثيرٍ، وكان يودِع بطن الأرض في القبور جماعةً من أصحابه أحياءً يأمرهم أن يقولوا للنَّاس إنَّه المهديُّ الَّذي بشَّر به النَّبيُّ ﷺ ثمَّ يَرْدِم عليهم ليلًا لِئَلَّا يكذِّبوه بعد ذلك وسمِّي أصحابه الجهميَّة الموَّحدين نُفَاةُ صفات الرَّبِّ وكلامه وعلوِّه علىٰ خلقه

واستوائه علىٰ عرشه ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان وتَسمَّىٰ بالمهديِّ المعصوم». [«المنار المنيف» (ص: ١٥٣ ـ ١٥٤)].

تأمَّل كلام شيخ الإسلام وتعرف من خلاله علىٰ قبح هؤلاء المتسمين زورًا بالموحِّدين، فهم:

1ـ أقبح من الصُّوفيَّة في غلوِّهم في متبوعهم المهدي ابن تومرت الضَّال.

2ـ وأقاموا دولتهم علىٰ الكذب والمحال وقتل المسلمين واستحلال الدِّماء والأموال كما يفعل الخوارج المارقون.

وتأمَّل كلام الإمام ابن القيِّم وتعرف من خلاله علىٰ قبح هؤلاء المتسمين زورًا بالموحِّدين.

1ـ فشيخهم ومتبوعهم المهدي ابن تومرت الضَّال كذَّاب ظالم متغلّب بالباطل، قتل النُّفوس المسلمة وسبىٰ ذراريهم وكان شرًّا علىٰ الملَّة من الحجَّاج ابن يوسف بكثير!!!

2ـ وأصحابه جهميَّة نفاة للصِّفات!!!

فأيُّ فضل ـ يا سعادة الدُّكتور ـ لهؤلاء الخوارج المارقين والقتلة السفَّاحين؟! وأيُّ حركة فكريَّة مهدوا لها؟! أهي دعوة أهل السنَّة والجماعة أم دعوة الأشاعرة المعطِّلة والخوارج المارقين؟! وأيّ ازدهار ونضج حقَّقوه بعدما عرفت عقيدتهم وظلمهم؟!

وقال الشَّيخ العلَّامة محمَّد أمان الجامي رحمه الله: «أبو عبد الله محمَّد بن تومرت فأخذ العقيدة الأشعريَّة الكلَّابيَّة هذه عن أبي حامد الغزالي فلمَّا عاد إلىٰ بلده المغرب أقام في المصامدة ـ اسم مكان هناك ـ يفقِّههم ويعلِّمهم العقيدة الأشعريَّة، بل وضع لهم كتابًا في العقيدة نفسها فتلقَّاها النَّاس بالقبول والاستحسان، ثمَّ توفِّي التومرتي الَّذي حمل إليهم العقيدة فخلفه من بعده عبد المؤمن بن علي القيسي، ولقِّب القيسي هذا بأمير المؤمنين فتغلَّب علىٰ مماليك المغرب هو وأولاده بعد فترة من الزَّمن، وسمَّوا أنفسهم

(الموحِّدين) وهم حملة العقيدة الأشعريَّة التُّومرتيَّة الَّتي جاءتهم من العراق، فتمسَّكوا بها بشدَّة، بل دعوا إليها النَّاس، بل ألزموها النَّاس قسرًا حتَّىٰ استباحوا دم من خالف عقيدة التُّومرتي؛ إذ هو عندهم الإمام المعلوم والمهدي المعصوم؛ كما قال المقريزي، يقول تقي الدِّين المقريزي في «خططه» وهو يتحدَّث عن هذا الموقف المتطرِّف للموحِّدين: «فكم أراقوا دماء خلائق لا يحصيها إلَّا الله الَّذي خلقها سبحانه بسبب تلك العقيدة التُّومرتيَّة» اهـ، وممَّا يُلاحَظ أنَّ التشدُّد ممَّن سمَّوا أنفسهم موحِّدين، ذلك التشدُّد الَّذي وصل إلىٰ هذه الدَّرجة كما رأينا، وأنَّ تلك الحماقة الممقوتة ليست لأجل العقيدة الأشعريَّة، وليست لكون العقيدة الجديدة هذه لأبي الحسن الأشعري، بل لأنَّها لتومرت الَّذي اعتبروه الإمام المعلوم والمهدي المعصوم علىٰ ما تقدَّم من كلام المقريزي، فهذه الأمور مجتمعة هي من أسباب انتشار العقيدة الأشعريَّة واشتهارها هذه الشُّهرة في الأقطار الإسلاميَّة، حتَّىٰ جهل غيرها من المذاهب، ومن أهمِّ تلك الأسباب كما لاحظتم الحماقة التُّومرتيَّة الَّتي استباحت دماء كلّ من خالف عقيدة تومرت، وهي حماقة ما سجَّل التَّاريخ مثلها فيما نعلم». [«العقيدة الاسلاميَّة وتاريخها» (ص: 93 ـ 94)].

فانظر الفرق الهائل بين كلام الدُّكتور في وصفه لهذه الدَّولة بفتح آفاق فكريَّة واسعة أتاحت للحياة الثَّقافيَّة مزيدًا من الازدهار والنُّضج وبين كلام العلَّامة محمَّد أمان رحمه الله بأنَّها من أهم الأسباب لانتشار عقيدة الأشاعرة وبوصفه لها بأنَّها حماقة ما سجَّل التَّاريخ مثلها.

وكان الواجب في حقِّه أن ينصح للقارئ وينقل كلام أئمَّة الإسلام فيهم الَّذين يحكمون بميزان الشَّرع والعدل لا بميزان العاطفة وتقليب الحقائق.

أمَّا زعم الدُّكتور أنَّ الزَّوايا والرباطات الصُّوفيَّة كان لها الأثر الطيِّب والبارز في دفع الحركة الفكريَّة في المجتمع فمن أعجب ما قرأته للدُّكتور! هل يعقل أن يقول هذا سلفيٌّ صادق

فضلًا عن شيخ دكتور يراد جعله علىٰ هرم السَّلفيِّين في الجزائر قسرًا؟! هل يعقل أن تكون الزَّوايا والرباطات الصُّوفيَّة المشهورة بتصوُّفها وجهلها وعقيدتها الأشعريَّة وغلوّها في شيوخها لها أثر طيِّب بارز في دفع الحركة الفكريَّة في المجتمع؟! **فليذكر لنا الشَّيخ الدُّكتور هذا الأثر الطيِّب البارز وإنَّا لمنتظرون!**

إنَّ كلَّ سلفيٍّ صادق يعلم عن هذه الزَّوايا والرباطات عكس ما ذكره الدُّكتور ـ غفر الله له ـ لاسيما التي كانت في وقت الاحتلال الغاشم؛ فقد كان لتلك الزَّوايا والرباطات الأثر البارز المشين في تجهيل النَّاس وتخلُّفهم وذلك بنشر الشِّركيَّات والغلوّ في الصَّالحين ونشر عقيدة الأشاعرة ومحاربة أهل السنَّة والتَّعاون حتَّىٰ مع المستعمر الفرنسي لطمس معالم الدِّين الحقّ، أفيحقّ للدُّكتور بعد هذا أن يغشّ الأمَّة ومتابعيه والمعجبين به فيحسِّن لهم صورة أهل الباطل ويزيِّنها لهم في الوقت الَّذي يشوّه صورة السَّلفيِّين المصلحين الصَّادقين بشتَّىٰ أنواع التَّشويه؟!

المُلاحظة الثَّانية

إشادة وثناء الدُّكتور فركوس علىٰ كتاب «الإشارات» للملحد الباطني ابن سينا ووصفه بسمو التَّعبير وعمق الآراء، وتهوينه من كفريَّات وزندقات ابن سينا في هذا الكتاب وأنَّها مجرَّد مآخذ عقديَّة!!

انظر مقدِّمة تحقيقه «لمفتاح الوصول» (ص: ٨٨ ـ حاشية رقم: ٢)، قال: **«هو كتاب «الإشارات والتَّنبيهات» لابن سينا ألَّفه في آخر حياته، وأضاف فيه إلىٰ فصول المنطق والطَّبيعيَّات والإلهيات فصلًا خاصًّا بالتصوُّف، ويتَّصف الكتاب بسموِّ التَّعبير وعمق الآراء، الأمر الَّذي يجعله مستقلًّا عن نظريَّات المدارس الأخرىٰ، وعليه مآخذُ عقديَّة».**

ثمَّ قال مترجمًا له في (ص: ٨٨ ـ حاشية رقم: ٣): «**هو أبو عليٍّ الحسين بن عبد الله بن الحسن بن عليٍّ بن سينا، الفيلسوف الحكيم المشهور الملقَّب بالرَّئيس، كان نادرة عصره في علمه وذكائه، له تصانيف سائرة علىٰ مذاهب الفلاسفة منها: «كتاب الشفا» و«الإشارات» و«القانون» وغيرها، له اعتقادات ضالَّة مخالفة لاعتقاد المسلمين، تاب عنها سنة موته (428هـ ـ 1036م)**»

التَّعليق: والآن ـ أخي القارئ المنصف ـ أدعوك وأدعك لتقارن بين حكم أئمَّة الإسلام وأئمَّة الجرح والتَّعديل بحقّ علىٰ الملحد ابن سينا وكتابه «الإشارات» وبين كلام الدُّكتور لتدرك الفرق الهائل بين الكلامين والحكمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «الصفديَّة» (٢/ ٢٩٧): «وإن كان هو (ابن سينا) وأمثاله عند أهل الإيمان بالله ورسوله من جملة المرتدِّين والمنافقين»، وقال رَحِمَهُ اللهُ في «التسعينيَّة» (ص: ٣٦٥) متحدِّثًا عن كتاب الإشارات: «كما أنَّ «الإشارات» لابن سينا زبور المستأخرين من الفلاسفة».

وهذا شيخ الإسلام الثَّاني العلَّامة ابن قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللهُ يقول عن هذا الملحد في «إغاثة اللَّهفان» (٢/ ١٠٣١): «وكان ابن سينا، كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم، فكان من القرامطة الباطنيَّة، الَّذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا ربّ خالق، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالىٰ، وكان هؤلاء الزَّنادقة، يتستَّرون بالرَّفض، ويبطنون الإلحاد المحض»، وأطلق عليه لقب (إمام الملحدين) كما في «إغاثة اللَّهفان» (2/ 196)، ولقَّبه مرَّة بشيخ الملحدين كما في كتابه «شفاء العليل» (ص: ٣٩).

قال ابن الصَّلاح في ابن سينا: «كان شيطانًا من شياطين الإنس». «فتاوىٰ ابن الصَّلاح» (1/ 209).

وقال العلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ نونيَّة ابن القيِّم في الأبيات الَّتي ذمَّ فيها الفلسفة وابن سينا: «وقد صرَّح شيخ الإسلام وابن القيِّم بأنَّ ابن سينا كافر، ليس من المسلمين، وإن كان مقدَّسًا عند القوميِّين العرب وأشباههم ممَّا لا يقيمون للدِّين وزنًا، ولا للعقيدة اعتبارًا، فهو عندهم مقدَّس، حتَّىٰ إنَّهم قد يُسمُّون بعض المدارس باسم هذا الرَّجل ابن سيناء مع أنَّه كافر!! والكافر لا يجوز أن يُنوَّه باسمه إطلاقًا، بل يدفن ويقبر، وإذا كان له من دعاية أو نشر كتب مضلَّة فيذكر علىٰ سبيل الذمِّ لا علىٰ سبيل المدح».

وقال الشَّيخ عبد العزيز الرَّاجحي كما في «دروس في العقيدة/ الشَّاملة» بعد أن بيَّن ضلالات وكفريَّات ابن سينا: «هذا مذهب ابن سينا يسمِّيه ابن القيِّم إمام الملحدين كما في «إغاثة اللَّهفان» ـ الجزء الثَّاني، وله كتاب «الإشارات» كلّها إلحاد وزندقة، والنصير الطُّوسي الَّذي تسبَّب في جلب التتار وسقوط بغداد أخذ كتاب «الإشارات» لابن سينا وأراد أن يلغي القرآن ويجعله بدل القرآن، فلمَّا لم يوافقه النَّاس، قال: هذا كتاب الخواص كتاب «الإشارات» لابن سينا وهذا قرآن العوام».

وسئل فضيلة الشَّيخ العلَّامة صالح بن فوزان الفوزان ـ حفظه الله ـ: ما رأيكم فيمن يثني علىٰ ابن سينا ويجعله من علماء المسلمين؟ الجواب: «هذا بين أمرين:

1ـ إمَّا أنَّه جاهل ولا يدري عن حال ابن سينا، وهذا لا يحقّ له أن يتكلَّم، بل يجب عليه أن يسكت.

2ـ وإمَّا أنَّه عالم بحال ابن سينا وكفريَّاته، فيكون مقرًّا له علىٰ ذلك، فيكون حكمه مثل حكم ابن سينا ـ والعياذ بالله ـ؛ لأنَّه أقرَّه علىٰ ذلك وزكَّاه، **والأمر خطير جدًّا**، لكن بعض النَّاس يثني علىٰ ابن سينا من ناحية أنَّه طبيب فقط، وهذه حرفة دنيويَّة، هو طبيب، وفي الكفَّار من هو أحذق منه في الطبّ، فلماذا يخصّ ابن سينا؟ يقولون: لأنَّه ينتسب للإسلام، وهذا مفخرة للإسلام، نقول: الإسلام بريء منه، والإسلام غنيٌّ عنه، والحاصل: أنَّه لا

يُمدح ولا يزكَّىٰ؛ لأنَّه باطنيٌّ من الباطنيَّة، فيلسوف ملحد، يقول بجواز قدم العالم».
المصدر: «التَّعليق المختصر علىٰ القصيدة النُّونيَّة» (3/ 132ـ طبعة عام 1424).

وإن كان الدُّكتور بعد ثنائه علىٰ كتاب «الإشارات» صرَّح في التَّعليقة الموالية تحت رقم (٣) بأنَّ لابن سينا اعتقادات ضالَّة تخالف اعتقاد المسلمين وأنَّه تاب من ذلك، فإنَّ هذا لا يعفيه من التبعة وذلك لأمور أربعة:

الأوَّل: حكمه هذا لا يغيِّر من حقيقة كونه أثنىٰ علىٰ كتابه الإشارات خاصَّة، ولم يذكر ما ينسخ ذلك في التَّعليقة الثَّانية!

الثَّاني: ثناؤه علىٰ علم وذكاء ابن سينا بل مبالغته في ذلك، وذلك حين قال: عفا الله عنه «كان نادرة عصره في علمه وذكائه»! وهذا الإطراء علىٰ علمه وذكائه لم نره لعلماء السنَّة، بل رأيناهم يسيئون الثَّناء عليه مطلقًا ولا يمدحونه بشيء؛ لا في علمه ولا في ذكائه، كما رأيته في النُّقول السَّابقة.

الثَّالث: الإجمال في كلامه؛ فيقال له: ما نوع هذه الاعتقادات الضالَّة وما حجمها هل هي من جنس مخالفات أهل الكلام كالأشاعرة والمعتزلة أم هي من جنس قرمطة وزندقة الفلاسفة والملاحدة الباطنيَّة؟! وقد حكم أئمَّة الإسلام ومحقِّقو اعتقاد السَّلف علىٰ مخالفاته بأنَّها من هذا النَّوع الأخير أي من جنس قرمطة وزندقة الفلاسفة وأنَّ صاحبها (ابن سينا) ملحد مرتدّ منافق كما سبق النَّقل عنهم، فكان علىٰ الدُّكتور أن يبيِّن ذلك بوضوح ويحكم في هذا الضَّال بحكم شيوخ الإسلام وأئمَّته خاصَّة وأنَّه هوَّن من شأن هذه المخالفات في التَّعليق الأوَّل وجعلها مجرَّد مآخذ عقديَّة!! ممَّا يجعلنا نفهم كلامه الثَّاني علىٰ ضوء كلامه الأوَّل.

الرَّابع: جزمه بأنَّه تاب من هذه الضَّلالات دون أن يذكر مستندًا صحيحًا لذلك! وكلّ ما في الأمر أنَّه مجرَّد حكاية لا خطام ولا زمام لها من الصحَّة. ولهذا حكاها الإمام ابن كثير

بصيغة التَّمريض ولم يجزم فقال في «البداية والنِّهاية» (١٥/ ٦٦٨): «ويقال: إنَّه تاب عند الموت».

وقال الشَّيخ عبد العزيز الرَّاجحي في «دروس في العقيدة/ الشَّاملة»: «**أمَّا كونه رجع عن الفلسفة فلا ندري به، لكن كتبه ومؤلَّفاته في إنكار البعث موجودة، حيث ويقول: إنَّ البعث للأرواح، وله كتاب «النَّجاة»، وإذا ثبت أنَّه رجع ووجد ذلك في كتاب وعرف تأريخه فلا بأس، وما يذكره بعض النَّاس في ذلك احتمالات تحتاج إلىٰ دليل، فهذه مؤلَّفاته وهذا هو اعتقاده، نسأل الله السَّلامة والعافية**». اهـ

فهذا حكم علماء الإسلام في هذا الملحد الباطني البريء من الإسلام، وهذا حكمهم علىٰ عقيدته وكتبه ومنها كتابه «الإشارات»، **فهل تستسيغ - أيُّها السنيُّ العاقل - أن تطلق عبارة (عليه مآخذات عقديَّة) وتكتفي بها علىٰ كتاب مليء بالكفر والزَّندقة؟!** وهل رأيت في كلام هؤلاء الأئمَّة تمجيدًا لهذا الكتاب ووصفه بسمو التَّعبير وعمق الآراء؟! وهل رأيتهم يصفونه بالحكمة والعلم والذَّكاء بله أنَّه نادرة عصره في ذلك؟!

الملاحظة الثَّالثة

إشادة وثناء الدُّكتور فركوس علىٰ الفيلسوف الضَّال ابن رشد الحفيد ووصفه بالجلالة والحكمة! دون أدنىٰ تنبيه علىٰ ضلاله وانحرافه العريض!!

انظر تحقيقه «لمفتاح الوصول» (ص: ٨٩ - حاشية رقم: ٣)، فقد قال مترجمًا لابن رشد الحفيد: «**هو أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن أبي الوليد بن رشدٍ المالكيُّ، الشَّهير بالحفيد الغرناطيِّ، يُلقَّب بقاضي الجماعة، كان عالمًا جليلًا، أصوليًّا فقيهًا، حافظًا متقنًا، مجتهدًا حكيمًا، له تصانيف في فنون متنوِّعةٍ منها: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» و«منهاج الأدلَّة**

في الأصول» و«الكلِّيَّة في الطِّب» و«جوامع كتب أرسطو في الطَّبيعيَّات والإلهيَّات»، توفِّي سنة (595هـ ـ 1198م) بمرَّاكش، ونقلت جثَّته إلىٰ قرطبة».

التَّعليق: والآن ـ أخي القارئ المنصف ـ أدعوك وأدعك لتقارن بين حكم أئمَّة الإسلام وأئمَّة الجرح والتَّعديل بحقٍّ علىٰ هذا الفيلسوف الضَّال وبين حكم الدُّكتور لتدرك الفرق الهائل بين الحكمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهميَّة» (١/ ١٥٦): «من أخبر النَّاس بمقالات (أرسطو) وأصحابه، ومن أكثر النَّاس عناية بها، وقولًا بها وشرحًا لها.. القاضي أبو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف، حتَّىٰ أنَّه يردُّ علىٰ من خالفهم، كما صنَّف كتابه «تهافت التَّهافت» الَّذي ردَّ فيه علىٰ «أبي حامد الغزالي» ما ردّه علىٰ الفلاسفة، وإن لم يكن مصيبًا، فيما خالف فيه مقتضىٰ الكتاب والسنَّة، بل هو مخطئ خطأً عظيمًا، بل ما هو أعظم من ذلك» انتهىٰ، وقال رحمه الله في «درء التَّعارض والنَّقل» (٦/ ٢١٠): «ابن رشد من أتبع النَّاس لمقالات المشَّائين ـ أرسطو وأتباعه ـ ومن أكثر النَّاس عناية بها وموافقة لها، فالمقصود أنَّ ابن رشد ينتصر للفلاسفة المشَّائين ـ أرسطو وأتباعه ـ بحسب الإمكان» انتهىٰ، وقال رحمه الله في «درء تعارض العقل والنَّقل» (٦/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨): «وهو (ابن رشد) يميل إلىٰ باطنيَّة الفلاسفة الَّذين يوجبون إقرار الجمهور علىٰ الظَّاهر... وهو في نفي الصِّفات أسوأ حالًا من المعتزلة وأمثالهم، بمنزلة إخوانه الفلاسفة الباطنيَّة، حتَّىٰ أنَّه يجعل العلم هو العالم، والعلم هو القدرة..» انتهىٰ.

وقال رحمه الله في «درء تعارض العقل والنَّقل» (٦/ ٢٤٢): «والمقصود هنا أنَّ ابن رشد هذا مع اعتقاده أقوال الفلاسفة الباطنيَّة ـ لا سيما الفلاسفة المشَّائين أتباع أرسطو صاحب التَّعاليم الَّذين لهم التَّصانيف المعروفة في الفلسفة ـ ومع أنَّ قول ابن رشد هذا في الشَّرائع من جنس قول ابن سينا وأمثاله من الملاحدة، من أنَّها أمثال مضروبة لتفهيم العامَّة ما

يتخيَّلونه في أمر الإيمان بالله واليوم الاخر، وأنَّ الحقَّ الصَّريح الَّذي يصلح لأهل العلم، فإنَّما هو أقوال هؤلاء الفلاسفة، وهذه عند التَّحقيق منتهاها التَّعطيل المحض» انتهىٰ.

وقال رحمه الله في «درء تعارض العقل والنَّقل» (٦/ ٢٦٧): «ابن رشد من أعظم النَّاس انتصارًا للفلاسفة وسلوكًا لطريقتهم لا سيما لأرسطو وأتباعه، كما أنَّه يميل إلىٰ القول بقدم العالم» انتهىٰ.

قلت: تأمَّل كيف جعل شيخ الإسلام هذا الفيلسوف من أكثر النَّاس عناية بمقالات أرسطو ومن أكثرهم قولًا بها وشرحًا لها ودفاعًا عنها، وقوله في نفي الصِّفات أسوء من قول المعتزلة، وقوله في الشَّرائع من جنس قول ابن سينا والملاحدة الَّذين يجعلون الشَّرائع خاصَّة بالعامَّة دون الخاصَّة (الفلاسفة) وأنَّها مجرَّد أمثال مضروبة لتفهيم العامَّة وتخييلات، وأنَّه يميل إلىٰ القول بقدم العالم!! فهل يكون من تشبَّع بفكر أرسطو وهضمه حتَّىٰ النُّخاع واعتقده وقال به وشرحه ونافح عنه عالمًا جليلًا ومجتهدًا حكيمًا؟! اللَّهمَّ غفرا.

وهذه ترجمة ونبذة عن حال هذا الفيلسوف المتقلّب كتبها العلَّامة محمَّد أمان رحمه الله في مقال نشر في مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة بعنوان (العقل والنَّقل عند ابن رشد): «هو فيلسوف كبير يكتنفه الغموض وتحيط به الاستفهامات من كلِّ جانب، أهو فيلسوف متهوّر؟ كما يقول بعض الكتَّاب؟ أهو فيلسوف جامع بين الفلسفة والدِّين كما يظهر من بعض كتبه؟ أهو أشعريٌّ في عقيدته؟ أو واقفيٌ؟ أو مفوض؟ أو هو.. أو هو.. أهو باطنيٌّ الخ. والَّذي جعل ابن رشد يقع تحت هذه الاستفهامات ويعيش هذا الغموض أنَّه كان كثير المداراة ويحاول أن يعيش مع الجمهور بظاهره، وأما في حقيقته فهو في عالم آخر.. عالم الخواص، الَّذي يزعم أنَّه يفهم من نصوص الشَّريعة فهمًا خاصًّا لا يفهمه الجمهور ويعذر الجمهور في مفهومه السَّطحي ـ علىٰ زعمه ـ ولا يبيح للعلماء أو الخواص أن يقفوا عند مفهوم

الجمهور، ولابن رشد اصطلاحٌ خاصٌّ قد ينفرد في هذا المعنىٰ، وهو أنَّه يثبت فريقًا ليسوا من العلماء، وهم فوق الجمهور، وهم علماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة والماتريديَّة ومن يدور في فلكهم، يطلق عليهم (جدليُّون) ويتبعون ما تشابه من النُّصوص ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

فابن رشد شخصيَّة غريبة يحتار المرء في تحديده، فتراه فقيهًا واسع الاطِّلاع علىٰ أقوال الفقهاء وكثيرًا ما يحاول ترجيح قول علىٰ قول، أو تقديم رأي علىٰ رأي فيقارع الحجج بالحجج، وقد تراه يتحدَّث عن مذهب السَّلف حديث مطلع ومقتنع ويثني عليه خيرًا لأنَّه لا يأوِّل النُّصوص بل يبقيها علىٰ ظاهرها علىٰ ما يليق بالله، ثمَّ تراه وقد انزلق مع الفلاسفة المتهوِّرين ويدعو إلىٰ تحكيم البراهين ويعتبرها هي الأصل في باب الإلهيَّات مع الاكتراث بالأدلَّة النَّقليَّة، ويقول بقدم العالم كما يبدو من بعض كتبه».

الملاحظة الرَّابعة

الدُّكتور فركوس يعتبر رؤوس الضَّلال (جمال الدِّين الأفغاني ومحمَّد عبده وعبد الرَّحمن الكواكبي) أصحاب دعوات إصلاحيَّة دينيَّة وسياسيَّة!!

انظر مقدمة «الفتح المأمول» (ص: ٢٢)، فقد قال: «**وفي سنة (1327هـ) التحق الشَّيخ عبد الحميد بجامع الزَّيتونة بتونس، فأخذ عن جماعة من كبار علمائها الأجلَّاء، وفي طليعتهم زعيم النَّهضة الفكريَّة والإصلاحيَّة في الحاضرة التُّونسيَّة العلَّامة محمَّد النَّخلي القَيرواني، المتوفَّىٰ سنة (1342هـ)، والشَّيخ محمَّد الطَّاهر بن عاشور المتوفَّىٰ سنة (1393هـ)، فضلًا عن مربِّين آخرين من المشايخ الَّذين كان لهم تأثيرٌ في نموِّ استعداده، وتعهَّدوه بالتَّوجيه والتَّكوين، كالبشير صفر، وسعد العيَّاض السطايفي، ومحمَّد بن القاضي وغيرهم، وقد سمحت له هذه الفترة بالاطِّلاع علىٰ العلوم الحديثة وعلىٰ ما يجري في**

البلدان العربيَّة والإسلاميَّة من إصلاحاتٍ دينيَّةٍ وسياسيَّةٍ، مثل حركة (جمال الدِّين الأفغاني) والشَّيخين (محمد عبدُه) و(محمَّد رشيد رضا) في مصر و(شكيب أرسلان) و(الكواكبي) في الشَّام وغيرهم، فكان لهذا المحيط العلمي والبيئة الاجتماعيَّة، والملازمات المستمرَّة لرجال العلم والإصلاح الأثرُ البالغ في تكوين شخصيَّته ومنهاجه في الحياة».

التَّعليق: والآن ـ أخي القارئ المنصف ـ أدعوك وأدعك لتقارن بين حكم أئمَّة الإسلام وأئمَّة الجرح والتَّعديل بحقٍّ علىٰ هؤلاء الضُلَّال وبين حكم الدُّكتور لتدرك الفرق الهائل بين الحكمين.

من هو جمال الدِّين الأفغاني وشيخه محمَّد عبده؟ قال حامل راية الجرح والتعديل بحقٍّ العلَّامة ربيع ابن هادي المدخلي ـ حفظه الله ـ: «الذَّريعة إلىٰ بيان مقاصد كتاب الشَّريعة» (3/ 389 ـ 390): «جمال الدِّين الأفغاني الرَّافضي الباطني الَّذي نسب نفسه إلىٰ أهل السنَّة وسمَّىٰ نفسه الأفغاني وهو إيراني كيدًا للإسلام، إيراني باطني رافضي ماسوني، كاد للإسلام وجال في بلاد المسلمين يدعو إلىٰ القوميَّات، ويدعو إلىٰ مذاهب هدَّامة، وينشر أفكارًا خبيثة ومنها: الفكر الباطني ومنها تحريف القرآن، وكان مُجنَّدًا من بلاد الغرب لتحريف الإسلام وإضلال المسلمين، ومثله السير أحمد خان، فهما في وقت واحد وخرج لهذا مدرسة ولهذا مدرسة، مدرسة القرآنيين والقاديانيَّة في الهند، يعني نشأت في هذا الوقت تحت رعاية الإنجليز، ونشأت فكرة جمال الدِّين الأفغاني في مصر والشَّام ولبنان وغيرها وتركيا، كان رجلًا نشيطًا جدًّا وذكيًّا جدًّا وماكرًا في غاية المكر، ونشأ علىٰ فكره كُتَّاب وعقلانيُّون علىٰ رأسهم محمَّد عبده»، ثمَّ قال ـ حفظه الله: «والإخوان المسلمين إلىٰ يومنا هـذا يُعظِّمون جمال الدِّين الأفغاني، رغم أنَّ النَّاس قد كتبوا فيه وبيَّنوا أنَّه باطني ماسوني، ولا يزال الإخوان المسلمين يُمَجِّدونه ويدافعون عنه**!!!**».

وقال الشَّيخ المحدِّث العلَّامة مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «فضائح ونصائح» (ص: ١٤٠) عن الضَّال محمَّد عبده: «من الَّذين يخرِّبون الإسلام»، وقال عنه في «المخرج من الفتنة» (ص: ١٢٣) في ثلاث مواضع: «محمَّد عبده ضال»، وقال عنه في «قمع المعاند» (ص: 277): «الضَّليل الأكبر محمَّد عبده المصري الَّذي يلقِّبه بعض الجاهلين وبعض الملحدين بالمجدِّد، نعم إنَّه مجدِّد ولكن للضَّلال، ناصر للمذهب المعتزلي وللمذاهب الرَّديئة، فإنَّه أجاز التَّعامل بالرِّبا القليل...»، وقال رحمه الله في «قمع المعاند» (ص: 332): «جمال الدِّين الأفغاني ومحمَّد عبده المصري وتبعهما علىٰ ذلك محمَّد رشيد رضا نقضوا عرىٰ الإسلام عروة عروة».

ثمَّ انظر إلىٰ الكواكبي وهو يصرِّح بالعلمانيَّة وينادي بها ويحثُّ علىٰ فصل الدِّين عن الدَّولة والمدنيَّة، لأنَّ ذلك بزعمه هو سبيل الرُّقي والإصلاح، وذلك حين قال في كتابه «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» (ص: 121): «يا قوم وأعني بكم النَّاطقين بالضَّاد من غير المسلمين، أدعوكم إلىٰ تناسي الإساءات والأحقاد، وما جناه الآباء والأجداد، فقد كفىٰ ما فعل ذلك علىٰ أيدي المثيرين، وأجلّكم من أن لا تهتدوا لوسائل الاتِّحاد، وأنتم المتنوِّرون السَّابقون، فهذه أمم أستراليا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتِّحاد الوطني دون الدِّيني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السِّياسي دون الإداري... دعونا ندبِّر حياتنا الدُّنيا، ونجعل الأديان تحكم الأخرىٰ فقط (!) دعونا نجتمع علىٰ كلمات سواء، ألا وهي فلتحيا الأمَّة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزَّاء».

هل تعتبر ـ يا دكتور ـ هذا الضَّال من دعاة الإصلاح الدِّيني؟! أيّ إصلاح ديني دعا إليه، وهو يصرخ صراخًا بفصل الدِّين عن الدَّولة والمدنيَّة؟! وتتجلَّىٰ دعوته إلىٰ ذلك في قوله: (دعونا ندبِّر حياتنا الدُّنيا، ونجعل الأديان تحكم في الآخرة فقط)، وهذا شعار العلمانيِّين (الدِّين لله، والوطن للجميع)، أيّ إصلاح ديني دعا إليه وهو يحثُّنا علىٰ تقليد دول الكفر

في إصلاحاتها المدنيَّة المبنيَّة علىٰ غير الدِّين، بل ويبدي إعجابه بذاك؟! أيا دكتور هل تعتبر هؤلاء الضلَّال (الأفغاني ومحمَّد عبده والكواكبي) من دعاة الإصلاح الدِّيني، ولا تعتبر السَّلفيِّين ـ الَّذين لهم قدم صدق في الدَّعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، وشابت لحاهم في ذلك، ونصروا السنَّة وأهلها ـ من دعاة الإصلاح الدِّيني؟! بل اعتبرتهم من دعاة الإفساد الدِّيني، فرميتهم بالتميُّع والاحتواء والتأكُّل بالدَّعوة وعدم صدقهم فيها!! فاعجب أيُّها السَّلفي الصَّادق وليطل تعجّبك (الأفغاني ومحمَّد عبده والكواكبي) من دعاة الإصلاح الدِّيني، ومشايخ الإصلاح من دعاة الإفساد الدِّيني!! فاللَّهمَّ رحماك رحماك.

تنبيه: مع علمنا أنه قد كتب توضيحاً حول هذا وبرّر لنفسه تبريرات لا ترقىٰ لإعذاره فيما كتب وذلك: أن قول الشيخ فركوس: "إنَّ هذه العبارة (دعوات إصلاحيَّة دينيَّة وسياسيَّة) **لا تحمل في ثناياها مدحًا ولا ثناءً علىٰ الشخصيات التاريخية المذكورة**، غاية ما في الأمر أنها إخبارٌ لظاهرِ واقعٍ تاريخيٍّ جرت أحداثه في ذلك الزمن بالمواصفات المذكورة التي كان ينادي أصحابها بأنها إصلاحيةٌ دينيةٌ بغضِّ النظر عن حقيقة هذه الدعوات هل هي إصلاحيةٌ فعلاً في جوهرها أم لا؟ وإنما المقصود منها التغيرات السياسية والتحوُّلات الدينية". اهـ

زاد الطّينة بِلّة؛ فكيف لا تحملُ في ثناياها مدحًا ولا ثناءً علىٰ هذه الشخصيات وأنت تصفها بالإصلاح الديني السياسي؟! وهل يعقل أن نصف شخصاً بالإصلاح الديني السياسي ثم نطعن في شخصه، وندّعي أن هذا ليس ثناءً عليه؟! اللهم إلا إذا كان مفهوم الإصلاح عندك غير مفهوم الإصلاح في القرآن والسنة وعند أئمة السنّة!

فالإصلاح مصطلح شرعي يدلّ بذاته علىٰ فضل من اتّصف به، ولهذا نفاه ربّنا تعالىٰ علىٰ المنافقين الذين ادّعوه ونسبوا أنفسهم إليه زورا فقال جلّ وعزّ {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا **إنما نحن مصلحون** ألا إنهم **هم المفسدون** ولكن لا يشعرون}. فكان

الواجب عليك – يا دكتور – أن تسلك مسلك القرآن فلا تطلق هذا المصطلح النبيل ابتداءً علىٰ أهل الضّلال – مهما كان قصدك – وإن أطلقته ولا بد فالواجب عليك أن تبيّن في الحال فساد من أطلقتَ عليه هذا الوصف حتىٰ يفهم الناس بعد ذلك قصدك. ولا تكتفي بقولك: (بغضِّ النظر عن حقيقة هذه الدعوات هل هي إصلاحيةٌ فعلاً في جوهرها أم لا؟)

فإنّ الله سبحانه وتعالىٰ لم يسكت عن بيان زيف وكذب ادّعاء المنافقين للإصلاح!!

ومع الأسف الشّديد قد تكرّر هذا منك يا دكتور؛ فقد سبق في الملاحظة الأولىٰ ثناؤك علىٰ دولة الموحدين والزوايا والرباطات ووصفك إيّاها بالإصلاح الديني (عن طريق اللّزوم) وإرجاع الفضل إليها (في تمهيد الحركة الفكرية.. الأمر الَّذي كان له الأثر الطيِّب والبارز في دفع الحركة الفكريَّة في المجتمع)!! فهل ستقول هنا أيضـًا (إنَّ هذه العبارة لا تحمل في ثناياها مدحًا ولا ثناءً علىٰ الشخصيات التاريخية المذكورة.. بغضِّ النظر عن حقيقة هذه الدعوات هل هي إصلاحيةٌ فعلاً في جوهرها أم لا؟)؟! هذا وقد رأيتُ لاحقـًا ترجمتكَ للماسوني الضال جمال الدين الأفغاني في موقعك، فقلت: "**كان واسع الاطِّلاع في العلوم العقلية والنقلية**، له رحلاتٌ طويلةٌ، نُصِّب عضوًا في مجلس المعارف، نفته الحكومة المصرية، ورُمي بالانحراف في الدين وتسخيره لخدمة أعداء الإسلام ومؤاخذاتٍ أخرىٰ..". فاستغربتُ ثناءكَ علىٰ علمه ووصفكَ إيّاه بالاطِّلاع الواسع في العلوم العقلية والنقلية مع تنبيهك علىٰ انحرافه الدّيني!!

فهل رأيتَ أيها السّلفي أئمةَ السّنّة يثنون علىٰ علم هذا الرّجل الخطير؟! وهل حقّـًا كان هذا الضّال الماسوني عالمـًا بالمعقول والمنقول فضلاً عن أن يكون واسع الاطّلاع فيهما؟!

فنرجو من الشيخ الدكتور أن يبيّن لنا هذه العلوم العقلية والنقلية الذي أتقنها هذا الضّال وتوسّع فيها، وهو في الوقت نفسه رافضي باطني مدسوس محرّف للقرآن كما قال شيخنا إمام الجرح والتعديل!!

المـلاحظة الخامسة

الدُّكتور فركوس يترجم لرأس المعتزلة ورأس الفرقة الضالَّة الجاحظيَّة ويشيد بتصانيفه ولا يشير أدنىٰ إشارة إلىٰ ضلاله وانحرافه الخطير!!

انظر «الإعلام بمنثور التَّراجم» (ص: ٢٦٣)، فقد قال –وفقه الله– مترجمًا للجاحظ: «**الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محجوب الكناني اللَّيثي المشهور بالجاحظ لجحوظ عينيه، إمام من أئمَّة اللُّغة والأدب، وله تصانيف هامَّة، توفِّي سنة (255هـ)**».

التَّعليق: والآن ـ أخي القارئ المنصف ـ أدعوك وأدعك لتقارن بين ترجمة وحكم أئمَّة الإسلام وأئمَّة الجرح والتَّعديل بحق علىٰ الماجن الضَّال رأس المعتزلة في وقته الجاحظ وبين ترجمة الدُّكتور له لتدرك الفرق الهائل بين التَّرجمتين.

قال إمام المفسِّرين أبو جعفر الطَّبري في كتابه «التَّبصير في الدِّين» (ص٨٠): «الفرقة الثَّالثة عشرة: الجاحظيَّة منهم، الجاحظيَّة وهم أتباع عمرو بن بحر الجاحظ فقد اغترَّ أصحابه بحسن بيانه في تصانيفه ولو عرفوا ضلالته وما أحدثه في الدِّين من بدعه وجهالاته لكانوا يستغفرون عن مدحه ويستنكفون عن الانتساب إلىٰ مثله».

وقال خطيب أهل السنَّة أبو محمَّد ابن قتيبة رَحِمَهُ الله في كتابه «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٥٩): «ثم نصير إلىٰ الجاحظ، وهو آخر المتكلِّمين... وتجده يحتجّ مرَّة للعثمانيَّة علىٰ الرَّافضة، ومرَّة للزيديَّة علىٰ العثمانيَّة وأهل السنَّة، ومرَّة يفضِّل عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومرَّة يؤخِّره، ويقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتبعه، قال ابن الجماز، وقال إسماعيل بن غزوان: كذا وكذا

من الفواحش... ويعمل كتابًا، يذكر فيه حجج النَّصارىٰ علىٰ المسلمين. فإذا صار إلىٰ الردِّ عليهم تجوز في الحجَّة، كأنَّه إنَّما أراد تنبيههم علىٰ ما لا يعرفون، وتشكيك الضَّعفة من المسلمين وتجده يقصد في كتبه المضاحيك والعبث، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النَّبيذ، ويستهزئ من الحديث استهزاء لا يخفىٰ علىٰ أهل العلم... وهو مع هذا من أكذب الأمَّة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل».

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «المجموع» (١٧/ ٣٩٢): «خطيب المعتزلة».

وقال الحافظ مؤرِّخ الإسلام شمس الدِّين الذَّهبي في «تاريخ الإسلام» (٥/ ١١٩٣): «من أذكياء بني آدم وأفرادهم وشياطينهم».وقال في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٤٧): «كان من أئمَّة البدع». وقال في «السِّير» (١١/ ٥٢٧): «كان ماجنًا، قليل الدِّين». فانظر ـ أخي القارئ ـ إلىٰ ترجمة الدُّكتور فركوس لهذا الضَّال الماجن وقارنها بعين الإنصاف مع كلام الأئمَّة وحكمهم عليه.

هل ستجد الدُّكتور حينها ناصحًا لقرَّائه أم غاشًّا لهم؟! وهل رأيت يومًا عالمًا سلفيًّا أثريًّا يذكر الجاحظ ولا ينبِّه علىٰ انحرافه وضلاله؟!

الملاحظة السَّادسة

الدُّكتور فركوس يترجم لإمام الأشاعرة المتأخِّرين المُتَجَهِّم فخر الدِّين الرَّازي ويثني عليه ثناءً عطرًا ويصفه بأوصاف لا تليق إلَّا بأئمَّة السنَّة كأمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الدُّكتور فركوس في كتابه «الإعلام بمنثور التَّراجم» (ص: 374) [وهو في الموقع أيضًا]: هو أبو عبد الله فخر الدِّين محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين القرشي البكري التيمي الشَّافعي الرَّازي، يقال له: «ابن خطيب الرّي»، كان إمامًا مفسِّرًا، وحيد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وله اليد الطُّولىٰ في علوم العربيَّة والوعظ باللِّسانين

العربي والعجمي، له المصنَّفات المشهورة، منها: «التَّفسير الكبير»، و«المحصول» و«المعالم» في الأصول، و«المطالب العالية» و«نهاية العقول» في أصول الدِّين، توفِّي سنة (٦٠٦هـ).

التَّعليق: والآن ـ أخي القارئ المنصف ـ أدعوك وأدعك لتقارن بين ترجمة وحكم أئمَّة الإسلام وأئمَّة الجرح والتَّعديل بحقّ علىٰ إمام الأشاعرة ووريث جهالات الجهميَّة والمعتزلة الفخر الرَّازي وبين ترجمة الدُّكتور فركوس له وحكمه عليه لتدرك الفرق الهائل بين التَّرجمتين والحكمين.

قال أعرف النَّاس به (1) شيخ الإسلام ومفتي الفرق أبو العبَّاس ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوىٰ» (17/ 247): «وهذا المذكور في كتب الرَّازي فليس في كتبه وكتب أمثاله في مسائل أصول الدِّين الكبار القول الصَّحيح الَّذي يوافق المنقول والمعقول الَّذي بعث الله به الرَّسول وكان عليه سلف الأمَّة وأئمَّتها بل يذكر بحوث المتفلسفة الملاحدة وبحوث المتكلِّمين المبتدعة الَّذين بنوا علىٰ أصول الجهميَّة والقدريَّة في مسائل الخلق والبعث والمبدأ والمعاد وكلا الطَّريقين فاسد».

وقال شيخ الإسلام في «بيان تلبيس الجهميَّة» (1/ 7 ـ 8): «واستشعر المعارضون لنا أنَّهم عاجزون عن المناظرة الَّتي تكون بين أهل العلم والايمان، فعدلوا إلىٰ طريق أهل الجهل والظُّلم والبهتان.. وإنَّما يعتمدون علىٰ ما يجدونه في كتب المتجهِّمة المتكلِّمين، وأجلُّ ما يعتمدون كلامه هو أبو عبد الله الرَّازي إمام هؤلاء المستأخرين»، وقال شيخ الإسلام أيضًا في «بيان تلبيس الجهميَّة» (1/ 13 ـ 14): «وهذا الكتاب «أساس التَّقديس» الَّذي صنَّفه

---

(1) إذ قد خبره وعرف انحرافاته الخطيرة لمَّا ردَّ عليه في كتابه العُجاب «بيان تلبس الجهميَّة» الَّذي نقض فيه وهدَّم أركان كتاب الرَّازي «أساس التَّقديس». ومع أنَّه أخبر أنَّه قد تاب في آخر حياته إلَّا أنَّ ذلك لم يمنعه من الردِّ علىٰ أباطيله والتَّشنيع عليه.

الرَّازي علىٰ عادته وعادة أمثاله من المتفلسفة والمتكلِّمين... وقد ذكر في خطبة كتابه ما هو من جنس خُطب الجهميَّة الَّتي كان يخطب بها أحمد بن أبي دؤاد علىٰ طريقة بشر المريسي وذويه»، وقال شيخ الإسلام أيضًا في «الصفديَّة» (2/ 329): «ومن نظر في بحوث الرازي وأمثاله معهم في مسألة القادر رأىٰ عجائب، ورأىٰ أنَّ الواحد من هؤلاء كأنَّه يبطن خلاف ما يظهر، يظهر الانتصار لقوله وكلامه يدلُّ علىٰ نقيضه، فإن كان مع ظهور رجحان أحد القولين لا يشعر برجحانه فهذا جهل عظيم».

تأمَّل كلام هذا الإمام، أليس هو ردٌّ ونقضٌ لكلام الدُّكتور من أساسه؟! فالرَّازي عند الدُّكتور إمام بإطلاق وهو عند شيخ الإسلام إمام المستأخرين من الأشعريَّة، وخطبة كتابه أساس التَّقديس من جنس خُطب الجهميَّة الَّتي كان يخطب بها أحمد بن أبي دؤاد علىٰ طريقة بشر المريسي وذويه!! والرَّازي عند الدُّكتور وحيد زمانه في المعقول والمنقول وهو عند شيخ الإسلام جاهلٌ بالمعقول والمنقول، بل وجاهل جهلًا عظيمًا؛ إذ يظهر الانتصار لقوله وكلامه يدلُّ علىٰ نقيضه، ومع ظهور رجحان أحد القولين لا يشعر برجحانه!!

وقال شيخ الإسلام الثَّاني ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّواعق المرسلة» (2/ 790) وهو يخاطب المتكلِّمين من الأشاعرة وغيرهم الَّذين قدَّموا العقل علىٰ النَّقل: «فهذا أفضلهم عندكم محمَّد بن عمر الرَّازي فبأيِّ معقولاته تزنون نصوص الوحي وأنتم ترون اضطرابه فيها في كتبه أشدَّ الاضطراب فلا يثبت علىٰ قول فعينوا لنا عقلًا واحدًا من معقولاته ثبت عليه ثمَّ اجعلوه ميزانًا»، فهل يكون مَن هذا حاله مِنَ الاضطراب الشَّديد إمامًا ووحيد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل؟! وقال أيضًا في «طريق الهجرتين» (ص: 160): «لمَّا لم يكن عند الرَّازي إلَّا مذهب الفلاسفة المشَّائين، والقائلين بالموجب بالذَّات أو مذهب القدريَّة المعتزلة القائلين بوجوب رعاية الصَّلاح أو الإصلاح، أو مذهب الجبريَّة نفاة الأسباب والعلل والحكم، وكان الحقّ عنده متردِّدًا بين هذه المذاهب الثَّلاثة، فتارة يرجِّح

مذهب المتكلِّمين، وتارة مذهب المشَّائين، وتارة يلقىٰ الحرب بين الطَّائفتين ويقف في النَّظارة، وتارة يتردَّد بين الطَّائفتين، وانتهىٰ إلىٰ هذا المضيق ورأىٰ أنَّه لا خلاص له منه إلَّا بالتزام طريق الجبريَّة ـ وهىٰ غير مرضيَّة عنده، وإن كان في كتبه الكلاميَّة يعتمد عليها ويرجع في مباحثه إليها ـ أو طريق المعتزلة القائلين برعاية الصَّلاح وهي متناقضة غير مطَّردة، لم يجد بدًّا من تحيزه إلىٰ أعداء الملَّة القائلين بأنَّ الله تعالىٰ لا قدرة له ولا مشيئة ولا اختيار ولا فعل يقوم به»، فهل يكون إمامًا ووحيد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل من تحيَّر في باب أفعال الله وتردَّد بين مذاهب باطلة مظلمة ولم يهتد إلىٰ الحق ثمَّ في النِّهاية تحيّز إلىٰ أعداء الملَّة القائلين بأنَّ الله تعالىٰ لا قدرة له ولا مشيئة ولا اختيار ولا فعل يقوم به؟!

وقال الذَّهبي مؤرِّخ الإسلام وقد ترجم له في «الميزان» (3/ 340): «رأسٌ في الذَّكاء والعقليَّات لكنَّه عري عن الآثار، وله تشكيكات علىٰ مسائل من دعائم الدِّين تورث الحيرة نسأل الله أن يثبِّت الإيمان في قلوبنا، وله كتاب «السرّ المكتوم في مخاطبة النُّجوم»، سحر صريح، فلعلَّه تاب من تأليفه إن شاء الله تعالىٰ».

وقال العلَّامة صالح ابن فوزان ـ حفظه الله ـ في «إعانة المستفيد» (1/ 304): «تفسير الرَّازي» فهو أكثرُ شيئًا شرًّا من «تفسير الزَّمخشري» لأنَّه كلّه جدل وافتراضات، وأحيانًا يأتي بإشكالات ولا يُجيب عليها».

وقال الشَّيخ عبد العزيز الرَّاجحي كما في «دروس في العقيدة/ الشَّاملة»: «الرَّازي أشعري، لكنَّه تحوَّل بنفيه النَّقيضين عن الله إلىٰ جهمي، فقرَّر في كتابه «أساس التَّقديس» وغيره أنَّ الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا مباين له ولا محايث له، ولا متَّصل به ولا منفصل عنه! وهذا أشدّ من القول بالحلول، والأشاعرة لا يقولون بالحلول، وإنَّما يقول بهذا الجهميَّة ومن تحوَّل إليهم من الأشاعرة كـ الرَّازي».

الخاتمة

فيها ذكر نماذج من تراجم الحافظ الذَّهبي لأهل البدع وبيان حالهم والتَّحذير من شرِّهم نصحًا للقارئ يتَّضح من خلالها الفرق الجلي بين طريقته وطريقة الدُّكتور في رسم تراجم أهل البدع.

وأتركك الآن ـ أيُّها القارئ ـ مع نماذج مشرقة من نصح أحد أئمَّة الفن وفرسان الميدان في التَّراجم ـ الإمام الذَّهبي رحمه الله ـ في كتابه «السِّير»، وكيف تجده لا يفوِّت فرصةً للتَّنبيه علىٰ عقيدة من يُترجِم له ولا يُغفِل أدقَّ التَّفاصيل في تديُّنه وبيان مذهبه نصحًا للقارئ وإبراءً للذمَّة، بل إذا كان المترجَم له كتاب خالف فيه مذهب السَّلف ينبِّه عليه ويُنزِل عليه الأوصاف الَّتي يستحقُّها تنفيرًا وتحذيرًا، وتدرك بذلك الفرق بين أئمَّة الفنِّ وأهله وبين من هو أجنبي عن ذلك، والله الموفّق والمستعان.

وقد حذَّر الذَّهبي من كتب ومصنَّفات أهل البدع والضَّلال، فقال في ترجمة أبي حامد الغزالي في «السِّير» (19/ 328 ـ 329): «فالحذر الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلَّا وقعتم في الحيرة، فمن رام النَّجاة والفوز، فليلزم العبوديَّة، وليدمن الاستعانة بالله، وليبتهل إلىٰ مولاه في الثَّبات علىٰ الإسلام، وأن يتوفَّىٰ علىٰ إيمان الصَّحابة، وسادة التَّابعين، والله الموفق، فحسن قصد العالم يغفر له، وينجو إن شاء الله»(2)، وإليك ـ أخي القارئ ـ نماذج من نصح الإمام الذَّهبي في تراجمه:

1ـ أبو حيَّان التَّوحيدي: وضع رسالة نسبها إلىٰ أبي بكر وعمر مع أبي عبيدة إلىٰ علي رضي الله عنهم، قال الذَّهبي: «وقال أبو نصر السجزي الحافظ فيما يأثروه عنه ـ جعفر الحكاك ـ سمعت أبا سعد الماليني يقول: قرأت الرِّسالة ـ يعني المنسوبة إلىٰ أبي بكر وعمر مع أبي عبيدة إلىٰ علي رضي الله عنهم علىٰ أبي حيَّان، فقال: هذه الرِّسالة عملتها ردًا علىٰ الرَّافضة، وسببه

(2) هذه النَّماذج مستفادة من بحث منقول في شبكة سحاب السَّلفية علىٰ هذا الرَّابط:
https://www.sahab.net/forums/index.php?app=forums&module=forums&controller=topic&id=99881

أنَّهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء، وكان يغلون في حال عليٍّ، فعملت هذه الرِّسالة، قال الذَّهبي: قد باء بالاختلاف علىٰ الصفوة، وقد رأيتها، وسائرها كذب بيِّن».

2ـ الأستاذ أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد البخاري الحنفي: قال الذَّهبي: «قد ألَّف «مسندًا» لأبي حنيفة الإمام، وتعب عليه، ولكن فيه أوابد ما تفوَّه بها الإمام راجت علىٰ أبي محمَّد».

3-البكري القصاص: قال الذَّهبي فيه: «القصاص الكذَّاب»، وقال: «لا يستحيي من كثرة الكذب الَّذي شحن به مجاميعه وتواليفه، هو أكذب من مسيلمة».

4- الحرالي: أبو الحسن علي بن أحمد الأندلسي. قال الذَّهبي: «وعمل تفسيرًا عجيبًا ملأه باحتمالات لا يحتمله الخطاب العربي أصلًا، وتكلَّم في علم الحروف والأعداد، وزعم أنَّه استخرج منه وقت خروج الدجَّال، ووقت طلوع الشَّمس من مغربها».

5-عبد المغيث بن زهير بن زهير بن عَلَوي: له جزء في فضائل يزيد بن معاوية: قال الذَّهبي في ترجمته: «وقد ألَّف جزءًا في فضائل يزيد ـ أي ابن معاوية ـ أتىٰ فيه بعجائب وأوابد، لو لم يؤلِّفه لكان خيرًا، وعمله ردًّا علىٰ ابن الجوزي، ووقع بينهما عداوة».

6-الفارابي أبو نصر محمَّد بن محمَّد التركي الفارابي المنطقي، قال الذَّهبي: «له تصانيف مشهورة، من ابتغىٰ الهدىٰ فيها ضلَّ وحار، ومنها تخرج ابن سينا ـ نسأل الله العافية ـ».

وهنا قارن بين ترجمة الإمام الذَّهبي النَّاصح للفارابي وبين ترجمة الدُّكتور حيث قال مترجمًا له كما في موقعه الرَّسمي محيلًا لتحقيقه علىٰ كتاب «مفتاح الوصول»: «الفارابي: هو أبو نصر محمَّد بن محمَّد بن طرخان التركي، المشهور بالفارابي شيخ الفلاسفة، كان مفرط الذَّكاء، حاذقًا في الحكمة والمنطق والموسيقىٰ، له تصانيف مشهورة منها تفقّه ابن سينا منها: «كتاب مراتب العلوم» و«تفسير لكتب أرسطاليس» و«قياس قاطيغورياس»، له مذاهب خالف فيها المسلمين من سلفه الأقدمين، وله نظم جيِّد، وأدعية مليحة علىٰ اصطلاح الحكماء، توفِّي بدمشق سنة (٣٣٩هـ)». [«تحقيق المفتاح» (٥٨٥)]

فنقول للدُّكتور في قوله: «وله نظم جيِّد، وأدعية مليحة علىٰ اصطلاح الحكماء» ما وجه ملاحتها وحسنها، وما هو اصطلاح الحكماء «الفلاسفة»، وما مقصودك جودة نظمه وما

نوع جودته؟ ألا يجب عليك أن تنصح القارئ ويكفيك التَّنبيه علىٰ ضلاله وانحرافه الكبير حتَّىٰ تأتي بهذه العبارة المطَّاطية الَّتي تشوِّش عليه وتتركه في دوَّامة الحيرة والغرابة؟!

7-فخر الدِّين محمَّد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، قال الذَّهبي: «وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنَّة، والله يعفو عنه».

وإليك بعض النَّماذج من تنبيه الإمام الذَّهبي علىٰ بعض الكتب لمن ترجم له ناصحًا ومحذِّرا:

1ـ «إحياء علوم الدِّين» للغزالي: قال الذَّهبي في تحذيره من «الإحياء»: «قال أبو بكر الطرطوشي: شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب علىٰ رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابًا علىٰ بسيط الأرض أكثر كذبًا منه، ثمَّ شبَّهه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني «رسائل إخوان الصفا»، وهم قوم يرون النبوَّة مكتسبة، وزعموا أنَّ المعجزات حيل ومخاريق» اهـ، ثمَّ أوصىٰ بإحراق مثل هذه الكتب إذا انتشرت بين من لا معرفة له بسمومها القاتلة، وذكر الذَّهبي أيضًا كلام أبي بكر الطرطوشي في رسالة له إلىٰ ابن مظفر ـ وهو عبد الله بن مظفر ـ، أنصف فيها أبا حامد الغزالي، وحذَّر من كتابه «الإحياء»، فقال الطرطوشي: «فأمَّا ما ذكرت من أبي حامد، فقد رأيته، وكلَّمته، فرأيته جليلًا من أهل العلم، واجتمع فيه العقل والفهم، ومارس العلوم طول عمره، وكان علىٰ ذلك طول عمره، وكان علىٰ ذلك معظم زمانه، ثمَّ بدا له عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثمَّ تصوَّف وهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشَّيطان، ثمَّ شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن علىٰ الفقهاء والمتكلِّمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدِّين، فلمَّا عمل «الإحياء» عمد يتكلَّم في علوم الأحوال، ومرامز الصُّوفيَّة، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط علىٰ أمّ رأسه، وشحن كتابه بالموضوعات» اهـ.

2ـ كتاب «تفسير القزويني» لأبي يوسف عبد السَّلام بن محمَّد القزويني، (شيخ المعتزلة). قال الذَّهبي: «قال السَّمعاني: كان أحد الفضلاء المقدمين، جمع «التَّفسير الكبير» الَّذي لم

ير في التَّفاسير أكبر منه، ولا أجمع للفوائد، لولا أنَّه مزجه بالاعتزال، وبثَّ فيه معتقده، ولم يتبع منهج السَّلف، وقال: وكان داعية إلىٰ الاعتزال».

3ـ «حقائق التَّفسير» لأبي عبد الرَّحمن السلمي: قال الذَّهبي في ترجمة الحكيم الترمذي: «وقال السلمي: هُجر ـ أي الحكيم التِّرمذي ـ لتصنيفه كتاب «ختم الولاية» و«علل الشَّريعة»، وليس فيه ما يوجب ذلك، ولكن لبعد فهمهم عنه»، ثمَّ قال ـ أي الذَّهبي ـ قلت: «كذا تُكُلِّم في السلمي من أجل تأليف كتاب: «حقائق التَّفسير» فياليته لم يؤلِّفه، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشَّطحات البسطامية، وتصرُّف الاتِّحادية، فواحزناه علىٰ غربة الإسلام والسنَّة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام : 153]، وقال الذَّهبي أيضًا: «وفي الجملة، ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة، وفي «حقائق تفسيره» أشياء لا تسوغ أصلًا، عدَّها بعض الأئمَّة من زندقة الباطنيَّة، وعدَّها بعضهم عرفانًا وحقيقة، نعوذ بالله من الضَّلال ومن الكلام بهوىٰ، فإنَّ الخير كلّ الخير في متابعة السنَّة والتمسُّك بهدي الصَّحابة والتَّابعين رضي الله عنهم»، ثمَّ نقل الذَّهبي كلام ابن الصَّلاح في «فتاويه»؛ قال: «وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسِّر رحمه الله أنَّه قال: صنَّف أبو عبد الرَّحمن السلمي «حقائق التَّفسير»، فإن كان اعتقد أنَّ ذلك تفسير فقد كفر».

4ـ كتاب «الدَّافع»، و«الزمردة»، و«قضيب الذَّهب» و«نعت الحكمة» كلها للرِّيوندي. قال فيه الذَّهبي: «الملحد، عدوّ الدِّين، أبو الحسن أحمد بن يحيىٰ بن إسحاق الريوندي، صاحب التَّصانيف في الحطِّ علىٰ الملَّة وكان يلازم الرَّافضة والملاحدة فإذا عوتب قال: إنَّما أريد أن أعرف أقوالهم».

5ـ ديوان ابن هانئ: لابن هانئ. قال الذَّهبي: «وديوانه كبير، وفيه مدائح تفضي به إلىٰ الكفر».

6ـ رسائل إخوان الصفا: قال الذَّهبي في ترجمة الغزالي: «وحبب إليه إدمان النَّظر في كتاب «رسائل إخوان الصفا»، وهو داء عضال، وجَرَبٌ مُرْدٍ، وسمٌّ قاتل، ولولا أنَّ أبا حامد من كبار الأذكياء لتلف».

7ـ «شفاء الصُّدور» في التَّفسير: لأبي بكر النَّقَّاش. قال الذَّهبي ـ بعد ذكره توهين العلماء للنِّقاش ـ وقال الحافظ هبة الله اللَّالكائي: «تفسير النقاش إشفىٰ الصُّدور لا شفاء الصُّدور».

8– الأهوازي: أبو علي الحسن بن علي. قال الذَّهبي: «جمع سيرة لمعاوية، و«مسندًا» في بضعة عشر جزءًا، حشاه بالأباطيل السمجة»، وقال: «وألَّف كتابًا طويلًا في الصِّفات، فيه كذب، وممَّا فيه حديث عرق الخيل، وتلك الفضائح، فسبه علماء الكلام وغيرهم»، ثمَّ نقل الذَّهبي كلام ابن عساكر في «تبيين كذب المفترىٰ» عن الأهوازي وكتابه، قال: «لا يستعبرن جاهل كذب الأهوازي فيما أورده من تلك الحكايات، فقد كان أكذب النَّاس فيما يدَّعي من الرِّوايات في القراءات».

نكتفي بهذه النَّماذج ليتَّضح للقارئ الفرق الهائل بين طريقة أئمَّة هذا الشَّأن في ذكر تراجم أهل البدع المبنيَّة علىٰ النَّصيحة للقارئ وتحذيره من شرِّ بدعهم وزلَّاتهم المنكرة وبين طريقة الدُّكتور الَّتي يغلب عليها المدح والإطراء والغض عن بدعهم وزلَّاتهم!! وهو بهذا المسلك جاوز –عن غير قصد– حتَّىٰ الإخوان والقطبيِّين والسُّروريِّين الَّذين يوجبون الموازنة بين الحسنات والسيِّئات في حال الحكم والتَّرجمة! وخالف مسلك بعض علماء السنَّة الَّذين يجيزون ذكر الحسنات مع السيِّئات في حال التَّرجمة دون الحكم!!

كتبه:

عبد الله بن صالح المكي